

بحار الأنوار

[115] بيان: قد مضى شرح أكثر أجزاء هذه الخطبة في كتاب التوحيد، ولعل غضبه عليه السلام لعلمه بأن غرض السائل وصفه سبحانه بصفات الاجسام، أو لانه سأل بيان كنه حقيقته سبحانه أو وصفه بصفات أرفع وأبلغ مما نطق به الكتاب والآثار لزعمه أنه لا يكفي في معرفته سبحانه، ويؤيد كلا من الوجوه بعض الفقرات. و (جامعة) منصوبة على الحالية، أي: عليكم الصلاة. على رفع الصلاة كما حكى أو احضروا الصلاة على نصيها جامعة لكل الناس. وربما يقرء برفعهما على الابتداء والخبرية. وهذا النداء كان شائعاً في الخطوب الجليلة وإن كان أصله للصلاة. (لا يفقره) أي لا يكثره (المنع) (1) أي ترك العطاء (ولا يكديه الاعطاء) أي لا يجعله قليل الخير مبطلًا فيه، يقال (كدت الارض) إذا أبطأ نباتها، (وأكدى

(1) قول عليه الصلاة والسلام (لا يفقره المنع) _____
أي لا يكثره ترك الاعطاء ولا يزيد في ملكه (ولا يكديه الاعطاء) أي لا يفقره ولا ينتقص من ملكه (إذ كل معط منتقص سواه وكل مانع مذموم ملاخله) حسن الاعطاء والجود وقبح المنع والبخل من احكام العقل العملي، و ملاك الحكم أنه يرى الانسان محتاجاً إلى بنى نوعه مفتقراً إلى التعاون والتعاوض معهم حتى يسعد في حياته ويبلغ غاية مناه، فلكل فرد من افراد المجتمع قدم في تشكيله، وأثر في ابقائه، وحق على زملائه، وحق عليهم جميعاً ان يتحفظوا على الاجتماع، ويراقبوا ثغوره، ويذبوا عن حدوده فحق على الاغنياء المثرين ان يبذلوا على الفقراء المعدمين ولا يدعوهم مفتقرين حتى يهلكوا ويفقد المجتمع بعض اعضائه فينتقص الغرض ويخيب المسعى. ومن الواضح عدم وجود هذا الملاك في الحق سبحانه لتعاليه عن الحاجة، وترفعه عن النقصان، وتنزهه عن الغرض الزائد على الذات، لكن حيث إن له تعالى مطلق الكمال لجمال وله الاسماء الحسنی والصفات العليا كان ذاته المتعالية وصفاته الجميلة الغير الزائدة عليها مقتضية لصدور الافعال الحسنة وكان كل افعاله لا محالة حسنة جميلة، لكن ليس للعقل أن يحكم عليه بوجوب فعل الخير وترك الشر الا بمعنى ادراكه لاقتضاء ذاته سبحانه لهما، و على هذا فلو صدر عنه سبحانه منع ايضاً كان حسناً لانه ليس لاحد عليه تعالى حق حتى يحسن اعطاؤه ويقبح منعه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون. وهذا هو المراد بقول الامام الثامن عليه السلام (فهو الجواد ان أعطى وهو الجواد أن منع لانه ان اعطى عبداً اعطاه ما ليس له وان منعه منعه ما ليس له).